صخر حبش من معدن الصخر

بقلم: عثمان أبو غربية

من الصعب علي أن أواجه مهمة حصر ما يمكن أن يكتب عنك أيها الراحل الصديق صخر أبو نزار، ذلك لأن حياتك كثيفة ومليئة ومتنوعة وفيها الكثير من المحاور والمحطات التي تستدعي التوقف لاستلهام المعاني، فأنت أحد الرجال الذين امتلأت حياتهم بالمعاني.

أنت الإنسان والمفكر والكاتب والشاعر والفنان والتنظيمي والدبلوماسي والمقاتل، وكل ذلك بما يكفي للتمعن والتعمق واستلهام الدروس والدلالات.

رفقة كفاح وسلاح طويلة مع أبي نزال بدأت في الأردن وتجربة الأردن وما فيها من زخم، حيث انضوى الراحل الكبير في صفوف الحركة بروح المبادرة والتحفز والاستعداد للعمل في كل المجالات عندما كان في سلطة المصادر الطبيعية وهو المختص والجيولوجي، وعندما انكب على العمل التنظيمي وهو ذو النشأة القومية العربية، حيث تربى في صفوف حزب البعث بنزعته الناصرية، هذه النشأة التي بقيت تلامس حسه العروبي طيلة حياته.

وفي غمار هذا الأوار التنظيمي تولى العديد من المهام والمساعدة في المهام الأكثر، ساهم في الاشراف على معسكرات الأشبال، وفي قيادة الاردن ومدينة عمان على وجه الخصوص، وفي أيلول 1970 تجلت مزايا صوته الجهوري في إذاعة زمزم 105، هو والمرحوم عزت ابو الرب (خطاب) صباح الخير.. صباح الدوشكا.

ثم في أحراش دبين وكانت هيئة القيادة تتشكل من الشهيد أبوجهاد والشهيد كمال عدوان، وأبو المعتصم أحمد عفانة، وصخر حبش وأنا وأبو القاسم اسحق الدقس أثناء تلك المرحلة انطلقت دورية مميزة بقيادة الشهيد عمر فهمي وكان محور تلك الدورية الشهيد أحمد حبش شقيق أبو نزار، وكان أحمد واحداً من مجموعة سعت لمستقبل ثوري أكثر علمية وتطوراً، حيث كان من دائرة فيها مروان منى ونبيل أبو ردينة وأنا وآخرون.

تكللت تلك الدورية بنجاح فوق التوقعات في قصف مستوطنة "ملبس بتاح تكفا" واستشهد فيها ستة من الطلائعيين الأبرار وفي مقدمتهم أحمد حبش بطل الإعداد الحقيقي لهذه الدورية بالتجهيز المدروس، وعلى محبته لأحمد واجه أبو نزار الفجيعة بشقيقه بما يليق بالرجال والشهداء.

بعد الخروج من الاردن والاستقرار في لبنان تولى مهمة معتمد الاقليم فيه، حيث عاد لتولي مهام العمل التنظيمي في إقليم كان تركة تنازعات داخلية بين النزعة التنظيمية والنزعة العسكرية.

وبعدها أصبح نائباً للشهيد كمال عدوان في القطاع الغربي، حيث التجربة الجديدة، والتحدي الساخن، وبعد المؤتمر الرابع لم يكترث أن يكون عضواً في اللجنة المركزية أو لا يكون، وقد تولى بعدها أمانة سر المجلس الثوري لحركة فتح خلفاً للشهيد ماجد أبو شرار الذي أصبح حينها عضواً في اللجنة المركزية، وما من شك أن تجربة الشهيدين ماجد أبو شرار وصخر حبش في أمانة سر المجلس الثوري كانت الأكثر تجلياً ونجاحاً، حيث لكل منهما مزاياه.

شهد المجلس الثوري في عهد صخر حبش فعالية خاصة ودوراً مميزاً، وكان قادراً على الإمساك بنقطة التوازن الدقيقة في ظل تجاذبات داخلية وخارجية معقدة أبرزها تجاذبات العمالقة في الحركة.

شهد الحصارات كلها واتخذ الموقف الملتزم الحاسم في لحظات كان الالتزام والوضوح يحتاجان إلى شجاعة ورسوخ، حيث يوضع الرجال على الامتحان، ومنها موقفه في الانشقاق وتحديه المرير.

كان يحزن إذا فاته أن يكون في معركة من معارك الثورة وفي الحقيقة أنه كان من أكثر الرجال انغماراً في هذه المعارك، بعد بيروت والانشقاق كانت تونس والعمل في تونس من خلال المسافات البعيدة.

من بين المهام التي كان قد تولاها في مسيرته قبل تونس توليه لمهام جمعيات الصداقة، ومن أهمها جمعية الصداقة مع الاتحاد السوفياتي أهم جدار دولي للثورة آنذاك، ولكنه في تونس ذهب لما هو أبعد، حيث تم تعيينه سفيراً في موسكو، لم تكن الدبلوماسية قريبة من طبيعته الواضحة والصريحة، ومن روحه الحرة، كان صريحاً وواضحاً بأكثر مما يستطيع أن يكون دبلوماسياً.

كذلك في هذه المرة واجه الحقيقة راسخاً، ولم يهتز أمامها، وقد عاد بعد أن أدى واجباً صعباً إلى تونس، حيث كان مشاركاً فعالاً في لجنة التعبئة الفكرية التابعة للتعبئة والتنظيم بقيادة الأخ أبو ماهر، وشارك بفعالية في جمعيات الصداقة من جديد، وتولى المهام في الإعداد للمؤتمر الخامس للحركة، الذي نجح فيه بامتياز لعضوية اللجنة المركزية للحركة، حيث تولى بعدها مهمة مفوض الشؤون الفكرية والدراسات. ومرة أخرى كانت تجليات ابداعاته، فعبر هذا المكتب أصدر نشرة فتح، ومارس مهام التوثيق، والتفاعل مع حقائق المتغيرات ومع الأحداث الدائرة عالمياً، وأضاف إلى تجلياته الشعرية وإبداعاته الأدبية مزيداً من دواوين الشعر والقصائد الجميلة، وكتب رواية النهر الغريق، وساهم في الرسم، وكان في السابق قد رسم بعض اللوحات، منها "بورتريه" لأحمد حبش، وآخر لوالده وآخر لماجد أبو شرار صديقه، وأقام ورشات الحوار السياسي والفكري وكتب

المقالات.

وعندما هبت نذر الحرب في العراق الشقيق قفز إلى بغداد ليكون في صفوف معركة اعتقد أنها معركة الدفاع عن الوطن العربي من خلال الدفاع عن منابع النفط ومقاومة احتلالها وصمد في بغداد المحاصرة تحت القصف ولهيب الطائرات.

أجاد التوازن بين تجاذبات الكبار، عمل في مرحلة سابقة مديراً لمكتب أبو عمار، وكان على علاقة طيبة مع أبو إياد، وقد استشهد أبو إياد مع بداية المعركة على العراق حيث انغرس أبو نزار ليسجل المعنى القومي العربي الذي آمن به طيلة حياته.

بعد كل ذلك عاد إلى تونس ليستأنف مهامه في الشؤون الفكرية والدراسات، وعندما كان القرار بوداع تونس إلى أرض الوطن كتب قصيدة جميلة لتونس، وتردد في الدخول، إلا أنه كتب قصيدته (ولكنه وطني).

دخل إلى الوطن ليتولى مهام التنظيم، ثم الشؤون الفكرية والدراسات وتأسيسه لمكتب الكرامة وإعادة إصدار نشرة "فتح"، وقد أقام ندوة الأربعاء التي كانت ملتقى فكرياً سياسياً جمع صفوة العقول الفلسطينية.

وأعطى جهداً للتوثيق، حيث بدأ في توثيق تاريخ الثورة وأسس تلفزيون الاستقلال، وجمع الكتب وكان قارئاً نهماً ورفيقاً مزمناً للكتاب.

ومرة أخرى في غمار الانتفاضة قدم وأحداً من تجلياته انطلاقاً من إيمانه بالوحدة الوطنية، حيث كان فلسطينياً للجميع كما كان فتحاوياً للجميع، وساهم بشكل أساسي بإقامة إطار القوى الوطنية والإسلامية بمشاركة القادة عبد الرحيم ملوح وقيس عبد الكريم، وسمير غوشة والشيخ حسن يوسف وواصل أبو يوسف، وغيرهم.

كان تجلياً رائعاً للوحدة، ومحطة تستحق الدراسة والاقتداء، أصيب بنكسة "البرايمرز" وبقي راسخاً وألم به المرض والعلاج وبقي راسخاً.

وإذا أردت أن أتحدث عن روحه في كل ذلك، حيث كنت مطلاً على غالبية تلك المحطات من موقع يرى الأمور على حقائقها، فقد اتصف بروح الانسان الأعمق، وكسب الثقة بمصداقيته وصفائه والتزامه.

كان محباً ومثقفاً وودوداً وصريحاً وواضحاً، جمع بين العقل العلمي والحكمة والصلابة ورهافه المشاعر وقدرة الثابت وقدرة المتغير، وكان نسيجاً خاصاً في عمله وعطائه وعلاقاته وأدائه، كان قوياً راسخاً لا يتزعزع، لم تهزه رياح الفجيعة أو الاخفاق فاستحق أن يكون صخراً، كان يضع قدميه بثبات في خانة موقفه كما فعل في الانشقاق، حيث كان يمكن للإرادات خفيفة الوزن أن تحتار.

كان جهوري الصوت والملامح، ولم يكن ركيكاً بلا ملامح، حيث يمكن لغبار

الرياح أن تتراكم في القيعان.

لم يكتب لا أدباً ولا شعراً ولا نثراً لكي يتزلف أحداً، ولم يقم بعمل من الأعمال أو بمهمة من المهام ليتزلف من خلالها، لم يكن يتكيف مع التراجعات أو يختفي خلف المواقف المبهمة، كان صانعاً مقداماً أميناً يستثمر مواسم الصناعة والخصب ولا ييأس في مواسم الجفاف والقحط، اتصف بالتفاؤل التاريخي والثقة بالمستقبل، وكان يعتقد أن أفضل من يعبر ضد ظاهرة خاطئة هو المصاب بها، وكان يدعو في ذلك لأن يستبين الخبيث من الطيب.

أبو نزار في رسوخه حيث لم تهزه الرياح استحق أن يكون صخراً ولأن يكون لإسمه معنى ولحياته معنى

عثمان ابو غربية

الأمين العام للمؤتمر الوطني الشعبي للقدس

عضو اللجنة المركزية لحركة فتح

٥/١١/٢٠١٠